كلمة الدكتور أحمد شحلان

مدير مكتب تنسيق التعريب

في حفل افتتاح اللقاء

العلماء الأجلاء الكرام

السادة الحضور

إنها لحظات رائعة أن ينتظم هذا العقد الفريد في ثلة من رجال العلم وكل من يهمهم أمر الإنسان والعقل والفكر. وإنها للحظات فائقة الروعة أن يلتئم هذا الشمل في رعاية مشمولة كريمة من صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله، تكريما من عالم كبير إلى رجال شغفهم البحث وأهمهم التدبير في الأبدان واللسان. ويستمد هذا الجمع المبارك أصوله وجذوره من تاريخ عريق شهدته هذه المدينة ورددت أرجاؤها كلمات من ابن زهر وابن طفيل وابن رشد، وهم جميعا أبرؤا سقم البدن والعقل، واعتنوا بالإنسان في روحه وجسمه واحساسه وشعوره، وهذه جميعا تكون أسس علم المعالجة والتدبير، وهي أيضاً رمز لما بلغه هذا العلم في حضارتنا العربية الإسلامية.

ولعل من أبرز أسباب نجاح تدبير الصحة عند المسلمين، أنهم لم يفصلوا في المعالجة، بين الجسم ومكوناته وعناصره، وبين قلق الروح وسلامتها، وهم النفس وانشراح الصدر، وهذه الميزة كانت برهانا صادقا على أن علم الصحة والتطبيب لم يكن علما بحتا بقدر ما كان فنا وصناعة ومهارة. ويعني ذلك أن أطباء المسلمين كانوا يربطون دوما أسرار العلاج وآثار المكان،وفعل الزمان ومؤثرات الحضارة، وبالتالي فإنهم اكتشفوا من بين ما اكتشفوا، أن الإنسان سليم بحكم التكوين وإبداع الخالق واتقان الصنع، وأن لكل ضر علاقة بموطن صاحبه، وأسبابا نابعة من بيئته وطرق عيشه، فبرعوا في طرق استكشاف الداء، وبرعوا أيضاً في كيفية وضع الدواء واختيار الأهوية والفصول والأزمنة لاستعمال هذا الدواء. وكان أطباؤنا المسلمون يعتبرون قول المريض ولغته مدخلا للعلاج، كما كان لهم فن في القول منه ينفذون إلى أعماق المريض فيهبونه الثقة والشجاعة والاطمئنان قبل أن يهبوه الأدوية والعلاج. ومن هنا كانت لغة الطب في العربية أغنى من غيرها، وكان الأطباء في العربية أيامها، أقدر الناس على إخضاع المصطلح الاغريقي أو السرياني لقواعد الصياغة والاستعمال العربيين.

وبفضل هذه النظرة التكاملية التي جعلت من هؤلاء الأعلام أطباء ولغويين وفلاسفة ونفسانيين، أبدع المسلمون في صناعة الطب ، واكتشفوا فيه مكتشفات، من نافلة القول ذكرها هنا، وإن نسبها إلى نفسه من جاء بعدهم بقرون، فسلم

الناس له بذلك جهلاً، أو جحوداً أو هما معاً.

إن القدرة الخارقة في نقد الأحوال والمتغيرات، وما يتوالى على الإنسان جسما وروحاً، وإن الدقة في الربط بين نظام الكون الكبير وانفعال الإنسان به، وهو الكون الصغير، كلها أسباب في كثرة التأليف في الطب العربي، و صفاً وتحليلاً ومعالجة، وكثرة التأليف في الأدوية، مركبات كيمائية أو نباتية أو بدائل في كل الأصناف، بلغة عربية تداولتها أوربا قبل عصر النهضة سيبويهية، وتناولتها أوربا بعد عصر النهضة لاتينية، وظل سلطانها قويا فعالا مؤثرا حتى القرن الثامن عشر كما هو. وما زال نفس من أنفاسه، عبقا في طبنا الحديث على الرغم مما وصلته صناعة الطب اليوم، حيث اقتحمت مجاهل المخلوق فيما يسمى "علم المورثات". ولولا تلك الجهود الصادقة الناكرة للذات، ولولا ذلك العقل النفاذ الذي سبر غور أحوال الزمان ومؤثراته، وسبر غور النفس الإنسانية وتقلباتها، وربط بين الأسباب ومسبباتها، وتمثل كل ذلك في ما يحول إليه جسم الإنسان، لظل علم الطب فلسفة محضا، يعالج الأفكار لا معادن الأفكار، ويتحدث عن الإنسان المثل لا الإنسان القابل للاعتلال. ولهذا الغنى في حسن التصور وبعد التقدير، نال تاريخ الطب العربي الإسلامي في الكتابات الغربية نصيب الأسد، وكان لنظرياته أثر كبير في صوغ بناء هرم الصناعة العلاجية، وبالتالي فإن كثيراً من سدنة طب اليوم، هم عرب من الشرق والمغارب، ساروا على طريقة أجدادهم، فاكتشفوا النظريات، وبرعوا فيما يجري في المخابر، وحسنوا سبل الفصد والجراحة والتشريح، وعدلوا في طرق التصويب والتقويم، وباختصار، فهم زينة الصناعة، سواء في أوطانهم أو خارج أوطانهم. وكثير منهم صار علما فردا، في ديار أوربا والأمريكتين، وكثير منهم أصبحت مؤلفاته عمدة في كليات الطب ومكتباته المتخصصة، وهذا دليل على أن الطب العربي، لا يمكن بحال من الأحوال أن يصنف في مرتبة دون مرتبات سادة الطب اليوم، بخلاف بسيط، أن سادة علم الطب في الغرب أبدعوا الصناعة علما ولغة، وجل علمائنا أبدعوها علما لا لغة، ولذلك ظل وهجهم نوراً يشوبه دخيل، وقد يضيع ذلك الوهج برغم سطاعته ونصاعته وخصوصياته، في ضياء يشرق علينا من الغرب، فتعد كل شمس غربية، وإن كان أصلها شرقا وعطاؤها مشرقا. وهنا قد نثير بديهية هي أقرب إلينا من حبل الوريد، وإن كنا نتغافل عنها، تلك أن اللغة لا تصنع الإبداع، وإن كانت تعين عليه، ولكن الإبداع هو الذي يصنع اللغة ويروج لها، ويعطيها أبعادها العالمية والإنسانية.

إذاً ليس من الغريب أن يكون لدينا اليوم فطاحيل في علم الطب، ولكن ليس من الغريب أيضاً أن لا يكون لهم عند غير المشتغلين بالصناعة، ما يستحقون من الذكر الحسن. وظلوا عند العامة من أممهم نكرات وهم أعلام. وظلت فصول الطب العربي الحديث شاحبة المداد وإن كانت أصيلة في الإبداع وقوية في الفعل، مفيدة في صيرورة الحضارة المعاصرة.

أيها الحضور الكريم،

إن الفصول الزاهية التي خط بها تاريخ طبنا العربي الإسلامي، وغنى لغته وسهولتها وقابليتها لتتمثل ما تحتاجه من مصطلحات أجنبية، دون أدنى حرج، وإن براعة أطباء اليوم وفعاليتهم في ميدان الصناعة على الصعيد العالمي، وإن حبنا لتاريخنا العلمي، و المصير الطبيعي الذي يفرض علينا أن نتفاعل مع لغتنا العربية التي هي جزء من كياننا، وإن معاناة المشتغلين في صناعة الطب، تدريسا وعلاجا وتفكيراً في الوطن العربي، وهم يتعاملون مع طلابهم أو مرضاهم بلغات لا بلغة، كل ذلك دعا مجموعة من المشتغلين في الطب، والمشتغلين في اللغة والمشتغلين بهما معاً، سواء في المغرب أو في أقطارنا العربية الأخرى، إلى العمل من أجل وضع أدوات لغوية متكاملة وشاملة ومفيدة، قصد العود باللغة العربية إلى غناها الأصيل في علم الطب. وقد عزمت ثلة من علماء الطب واللغة في المغرب على أن تكون لها مساهمتها المتميزة في هذا الباب، فعكفت على صياغة معجم مصور للعلوم الطبية يعالج منظوماتها الكبرى، ويعرض لمجمل الأنساق التي تمس مجمل ميادين الطب في فروعه العشرة التي هي أسس علم الطب الحديث. ويشتمل هذا العمل المصور كليا بالصور الملونة، وبالحجم المناسب، على عشرة أجزاء، تتضمن ما يقارب مائة ألف مصطلح، عربي وفرنسي وانجليزي. وقد ارتأى العاملون في وضع هذا المعجم أن قوامه لا يمكن أن يستقيم، وأن عوده لا يمكن أن يشتد، إلا بمؤازرة ومباركة كبار علم الطب واللغة في الوطن العربي، رغبة في الاستفادة من التجربة، والتيقن بالعلم، والنصح بالمشورة، وإيمانا بأن يد الله مع الجماعة، وشعورا بأن أمر التعريب في علم الطب أو غيره، هو أمر لا بد أن يجتمع عليه القول، وأن تتآزر فيه الجهود. اذ الأمل في بلوغ الوحدة الفكرية واللغوية هو أمل في وحدة المصير وعزة القوة والتمكن في العلم وما يرعاه العلم. ولكي نحقق هذا الهدف، ارتأينا أنه لا بد من النظر في أمور تمثلت في محاور هذا اللقاء، والمحاور هي بالإضافة إلى النظر في المعجم المومأ إليه:

1. العود إلى التجربة العربية في تعريب الطب والنظر في أمرها بما لها وما عليها، وفي أسباب غيابها إذا لم تحدث في بلداننا العربية.
2. تراث العرب في الطب والعلوم كيف نستفيد منه؟
3. قدرة اللغة العربية على مسايرة الإبداعات في ميادين الطب والعلوم.
4. الطب والعلوم والآفاق المستقبلية للغة العربية.
5. حصيلة المعجمات الطبية العربية الحديثة، تأمل وتقويم.

أيها الحضور الكريم،

للجلوس حول مائدة هذه المحاور العلمية، استجابت لنا مجموعة من كبار وخيار أهل الحل والعقد في فن الطب ومعالجة اللغة، على الرغم من مسؤولياتهم الجلى، وانشغالاتهم في المعالجة والتدبير والتأليف، دون أن يهابوا بعد

المسافة، ومشاق الرحلة والترحل، وجلهم قضى أياما ليصلنا. فإلى هؤلاء نضع قلوبنا متكأ، ونعانقهم بالحب والشوق، ونجزل لهم الشكر. وإلى كل من ساهم في الإعداد لهذا اللقاء، وهم كثر، هم متواضعون لم يريدوا منا أن نذكر أسماءهم، وإلى من تفضل فهيأ لنا هذا المكان المريح، جزيل الشكر ووافر التقدير. وإلى وزير الدولة السيد مولاي أحمد العلوي، الذي تفضل فشرف هذا الافتتاح على الرغم من مشاغله، شديد احترامنا وكبير تقديرنا. ومسك الختام، تقصر اللغة، ويعجز اللسان وتكون الكلمات دون المدلول، لو أردنا استعمالها للتعبير عن حبنا واخلاصنا، لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني أعزه الله، على تفضله بعقد اللقاء، تحت رعايته المنيفة وعناية جلالته المباركة، وهذا فخر لنا من عالم يقدر العلم ويكرم خدامه، فعهد منا لجلالته ومن المشاركين كافة، على أن نعمل حتى يكون اللقاء وتكون أهداف اللقاء في مستوى الثقة. أدام الله عزه وسدد خطاه.

وما توفيقي الا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.